

الحركة الفقهية  
ومشاهير الفقهاء  
في العراق  
خلال عصر  
التابعين  
••●••

أولاً :  
الكوفة

د. حميدان بن عبد الله الحميدان

## مقدمة :



يعتبر عصر التابعين وتلاميذهم - والذي يمتد من النصف الثاني من القرن الأول الهجري إلى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني الهجري - من أهم المراحل في تاريخ الفقه الإسلامي، حيث يشكل عصرهم حلقة الوصل بين فقهاء الصحابة من جهة وأئمة المذاهب من جهة أخرى.

لقد عنى هذا البحث بدراسة فقهاء التابعين في الكوفة مكرراً على نشأة هذا المركز، ودور الصحابة في ذلك وتطور الحركة الفقهية في العراق ومشاهير الفقهاء خلال هذه الفترة، كيف تم إعدادهم ومصادر علمهم وموقفهم من التيارات الفكرية في عصرهم، ودورهم في إثراء الفقه الإسلامي بالآراء الاجتهادية، وإعدادهم للطبقة التالية من الفقهاء لا سيما تلاميذ التابعين الذين أصبحوا فيما بعد أساتذة أئمة المذاهب في العراق.

هذه الدراسة تشكل مدخلاً لدراسة المناهج والاتجاهات الفقهية لدى فقهاء التابعين في العراق، وهو أمر من الأهمية بمكان لا سيما إذا عرفنا أن مؤرخي الفقه الإسلامي يعتبرون عصر التابعين مرحلة التمايز بين المناهج الاجتهادية وانقسامهما إلى التجهين بارزين، أهل الحديث في الحجاز، وأهل الرأي في العراق. ولأنني أرى أن دراسة المناهج الاجتهادية لا بد أن تسبق بدراسة كهذه يتم التركيز فيها على دراسة الشخصيات الفقهية المؤثرة في الحركة الفقهية، وحتى يمكن أعد نماذج من اجتهاداتهم ودراسها لاستنتاج المناهج منها. وقد اضطرت في ثنايا هذه الدراسة إلى الحديث عن المناهج الاجتهادية أحياناً، وذلك لأسباب تتعلق بإيضاح الدور العلمي لبعض الشخصيات الفقهية الهامة في هذه المرحلة، ولكن ذلك كان بإيجاز شديد حيث أن المناهج هي موضوع دراسة قادمة ينوي الباحث القيام بها.

## نشأة وتطور الحركة الفقهية في الكوفة :

حينما أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الكوفة لتكون معسكراً للمسلمين المشاركين في حركة الفتح الإسلامي، كان بذلك يضع اللبنات الأساسية لتكوين مركز من أهم المراكز الفقهية في التاريخ الإسلامي. فبعد أن استوطن الناس هذا الموضع استوطن معهم العديد من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام للمشاركة في الجهاد ونشر الإسلام، وكان هؤلاء الصحابة بمثابة مرجع يعود إليه الناس في كل ما يتعلق بأمورهم الدينية والدنيوية. ولم يكن الأمر مجرد صدفة في وجود هؤلاء الصحابة، بل أن الخليفة في المدينة اختار عدداً من كبار الصحابة والتابعين ليتولوا إدارة أمور البلاد المفتوحة وليتحملوا مسؤولية الإفتاء وإرشاد الناس في أمور دينهم.

ففي الكوفة نجد أن الخليفة عمر أرسل عدداً من أصحابه ولم يكن دور هؤلاء كما أسلفنا. فاصراً على إدارة أمور البلاد، بل كان شاملاً بالإضافة إلى ذلك القيام بدور علمي له أهميته وعظمته، فنشر الدعوة والفكر الإسلامي بين الساكنين من العرب وغيرهم كانت من أهم الأمور التي تشغل بال الخليفة ولذلك خص أهل الكوفة بأثر الرجال لديه من الصحابة، فبعث إليهم بعبد الله بن مسعود وكتب معه لأهل الكوفة قائلاً : «قد بعثت إليكم بعبد الله وخررت لكم وآتيتكم على نفسي<sup>(١)</sup>». ولم يكن عبد الله وحده بل كان معه آخرون من الصحابة، وإنما خصه عمر بالذكر لمزاته العلمية، وإلا فهو قد بعث معه عشار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف. ثم أن الكوفة قد نزحها جمع هائل من الصحابة الكبار الذين عاصروا الدعوة الإسلامية منذ نشأتها، فالمصادر تشير إلى أنه قد نزحها ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر.<sup>(٢)</sup> فإذا كان هذا العدد قد نزل الكوفة فلا بد أن يكون من بينهم من كان له تأثير في نمو مركز الكوفة العلمي. ولكن التأثير البالغ بلا شك كان لأولئك الصحابة المفتين مثل ابن مسعود ولذلك نجد الخليفة ينص في خطابه لأهل الكوفة على مهمته الأولى قائلاً : «إني والله الذي لا إله إلا هو آتيتكم بعبد الله على نفسي فخذوا عنه».<sup>(٣)</sup> وعبد الله بن مسعود يعتبر من بين السبعة المكرين من الفتوى في عهد الصحابة.<sup>(٤)</sup> وكذلك من بين الذين نزلوا الكوفة وبقوا فيها مدة لجعلهم يؤثرون في التفكير العلمي والتطور الفقهي لهذا المركز على بن أبي طالب، فهو قد اضطر إلى الإقامة في الكوفة إبان خلافته، وقد كان مهتماً بتفقيه الناس بأمور دينهم لدرجة أنه كان يتخصص أوقاتاً معينة لطلبة العلم ليتلقوا عنه.<sup>(٥)</sup>

ولكن بالرغم من نزول هذا العدد الجم من الصحابة ولا سيما فقهاءهم في الكوفة فإن التأثير البالغ كما يبدو من خلال المعلومات التي أوردتها المصادر كان لابن مسعود، فلقد كان دوره بارزاً وتأثيره واضحاً في تكوين مركز الكوفة العلمي، ويبدو أن ذلك بسبب إقامته الطويلة نسبياً فهو قدم الكوفة في عهد عمر بن الخطاب ولم يتركها إلا في عام ٣٠ هـ قبل وفاته بستين<sup>(٦)</sup> ونشر المصادر إلى أنه تمكن خلال إقامته في الكوفة من تكوين مجموعة من المهتمين بالناحية العلمية لدرجة أنه كان يطلق عليهم اسم القراء تمييزاً لهم عن غيرهم من الناس. وقد ظهر من بين هؤلاء طائفة مخصوصة تميزت عن سائر القراء بأطلاعها وتفقهها في علوم الدين. وإذا كان ابن مسعود ومن معه من الصحابة قد قاموا بتعليم القرآن ونشر علوم الدين من خلال جلساتهم ولقاءاتهم بالناس جميعاً دون تمييز لمن يحضر هذه الحلقات كما يحدثنا عبد الله بن مرداس عن ذلك بقوله : «كان عبد الله يخطبنا كل خميس» وعلقمة بن قيس يقول : «كان عبد الله بن مسعود يقوم قائماً عشية كل خميس»<sup>(٧)</sup> إلا أننا نجد بجانب هذه الحلقات العامة الأسبوعية لقاءً خاصاً لمجموعة معينة من هؤلاء القراء استأثرت باهتمام ابن مسعود وذلك لما ظهر على أفرادها من رغبة ومقدرة تتعدى حدود مجرد القراءة العادية للقرآن إلى أن تنفقه في علوم الدين، وكانوا يسمون بأصحاب عبد الله، وقد أصبح هؤلاء الأصحاب أهمية كبرى في تاريخ الفقه الإسلامي لدرجة أن قال عنهم ابن القيم : «والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود»<sup>(٨)</sup> ويروى عن علي بن أبي طالب قوله : «كان أصحاب عبد الله سرج هذه القرية»<sup>(٩)</sup>

فمن هم أصحاب ابن مسعود ؟ وكيف تميزوا عن غيرهم، وما هو الدور العلمي الذي قاموا به في مركز الكوفة العلمي ؟ نشر المصادر إلى أن عبد الله حين اختياره لهذه المجموعة كان حريصاً جداً في أن تتوفر في الفرد منهم شروط معينة. وقد أدركوا أن حضور هذه اللقاءات الخاصة ليس متاحاً لكل من يريد، فأحد هؤلاء الأصحاب يقول معلقاً على موقف ابن مسعود من اختيار أفرادها، وموضحاً بحث عبد الله عن شروط معينة لا بد أن تتوفر في من يختاره ليكون من بين هؤلاء النخبة فهو يقول : «إنه كان الرجل ليتبعنا إلى عبد الله فما يقبله يردده»<sup>(١٠)</sup> هذا الرد من قبل عبد الله لمن أراد أن يلتحق بهذه المجموعة الخاصة ليس له تفسير سوى حرصه على مستوى هذه المجموعة، والتي وصلت إلى مرحلة متقدمة في تحصيلها العلمي فهو يريد المحافظة عليها وإعدادها بشكل جيد قد لا يتوفر إذا التحق بها من لا يصل إلى مستواها من حيث التحصيل.

أما تحديد هؤلاء الأصحاب فلا بد من الإشارة إلى الروايات المختلفة بعض الشيء حول تسميتهم فإن سعد يروي عن إبراهيم التيمي قوله : «كان فينا ستون شيخاً من أصحاب عبد الله»<sup>(١١)</sup> ويبدو أن هؤلاء الأصحاب لم يكونوا جميعاً على درجة واحدة من حيث المكانة العلمية، بدليل أن الروايات تشير إلى أن الذين تولوا الإفتاء من بين هؤلاء الأصحاب عدد قليل. فالرواية الثانية لابن سعد عن إبراهيم تقول : «كان أصحاب عبد الله الذين يقرؤون ويفتون ستة». وفي رواية أخرى لابن سعد نجد أنه يشير إلى أنهم خمسة «كان أصحاب عبد الله بن مسعود خمسة»<sup>(١٢)</sup> وفي ترتيب مكانتهم خلاف فإن سعد يروي «فمنهم من يقدم عبيدة ومنهم من يقدم علقمة، وقيل لحماذ : عدهم قال : عبيدة ومسروق والمحمداي وشرح»<sup>(١٣)</sup> والشيرازي في الطبقات يشير إلى أنهم ستة.<sup>(١٤)</sup>

ويبدو أن أكثر الروايات متفقة على أنهم ستة، لكن هناك خلاف في التحديد فإن سعد يشير في أكثر رواياته إلى ستة هم علقمة والأسود ومسروق وعبيدة، والحرث بن قيس وعمرو ابن شرحبيل، وفي إحدى الروايات يبدل الحرث بن قيس بشرح. أما الشيرازي في الطبقات فيعد أن عدهم على أساس أنهم ستة، وهو بهذا يتفق مع رواية ابن سعد إلا أنه يختلف معه من حيث التسمية، وإن كان ذلك في نطاق ضيق فقد أسقط الشيرازي من بين من عدهم ابن سعد عمرو بن شرحبيل، وأضاف مكانه الحرث الأعور.<sup>(١٥)</sup>

وفي تفسير هذا الاختلاف في الروايات حول العدد أولاً ثم حول الأسماء، يبدو أنها تعبر عن وجهات نظر الراويين ممن أدركوا هذه الفترة، حول المشهورين من أصحاب ابن مسعود، وذلك حسب تقدير أولئك الرواة وآرائهم. ويجوز أن هذا التقدير وتلك الآراء بخالفهم فيها غيرهم من الرواة فإبراهيم التيمي يرى أنهم ستة هم : علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، والحرث بن قيس، وعمرو بن شرحبيل، كما يظهر من الرواية السابقة لابن سعد، ولكن راو آخر يرى أنهم خمسة، هم : عبيدة، وعلقمة، ومسروق، وعمرو بن شرحبيل، وشرح.<sup>(١٦)</sup> وفي نفس الوقت يروي الشيرازي عن ابن سيرين أحد كبار علماء التابعين في عصره أنه في المشهورين من أصحاب ابن مسعود قائلا : «أدركت الكوفة وبها أربعة يعدون للفقه فمن بدأ بالحرث ثنى بعبيدة. ومن بدأ بعبيدة ثنى بالحرث ثم علقمة الثالث وشرح الرابع»<sup>(١٧)</sup>

ولا بد من الإشارة إلى البارزين من هؤلاء الأصحاب، والذي كان لهم دور هام في المرحلة الأولى من عصر التابعين، لا سيما بعد وفاة علي بن أبي طالب بالكوفة عام ٤٠ هـ. والذي

يمكن استخلاصه من الروايات المختلفة حول تسميتهم وعددهم أن هناك على الأقل سبعة من كبار أصحاب ابن مسعود تبولوا مركز الصدارة في الكوفة خلال المرحلة الأولى على درجات متفاوتة من حيث الشهرة والمكانة العلمية في هذا المركز العلمي وهم على حسب تسلسل تاريخ وفاتهم، علقمة بن قيس النخعي المتوفى سنة ٦٢هـ. ومسروق بن الأجدع المتوفى سنة ٦٣هـ، والحارث الأعور المتوفى سنة ٦٤هـ، وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل المتوفى سنة ٦٤هـ، وعبيدة بن عمرو السلماني المتوفى سنة ٧٢هـ، والأسود بن يزيد النخعي المتوفى سنة ٧٥هـ، وشرح بن الحارث الكندي المتوفى سنة ٨٢هـ.<sup>(١١)</sup>

هؤلاء هم المشهورون من تلاميذ ابن مسعود والذي غلب عليهم اسم أصحاب ابن مسعود، وهذا لا يعني بأن إعدادهم كان مقصوراً عليه فقط، فعلى الرغم من اعتزاز هذه الطائفة من العلماء بالتلقي عن عبد الله بن مسعود وتفضيلها له كما يظهر من مقولة أحدهم : «ما كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفقه من صاحبنا عبد الله، يعني ابن مسعود»<sup>(١٢)</sup>، وقال علقمة بن قيس حين مال مسروق إلى قول زيد بن ثابت في التشريك في ميراث الجد مع الإخوة: «هل أحد منهم أثبت من عبد الله، فقال مسروق : لا ولكن رأيت زيد بن ثابت وأهل المدينة يشركونه»<sup>(١٣)</sup> ويقول الشعبي أحد كبار علماء التابعين : «ما دخلها أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنفع ولا أفقه صاحباً منه، يعني ابن مسعود»<sup>(١٤)</sup>، ولكن بالرغم من ذلك فإن مصادر علم هذه المجموعة لم تكن مقصورة عليه، لأننا نعرف أن بعضاً منهم قد التقى بكبار علماء الصحابة وأخذ عنهم فالأسود بن يزيد النخعي كان يلزم عمر ابن الخطاب ويروي عنه وقيل أن يهاجر ويلزم عمر لزوم معاذ بن جبل (بأن إقامة معاذ باليمن وروى عنه، كل ذلك تم قبل انتقاله للكوفة وقيل أن يصبح في عداد أصحاب ابن مسعود)<sup>(١٥)</sup>، وحينما قدم علي بن أبي طالب الكوفة كان هؤلاء العلماء من بين الذين اهتموا بلقائه والأخذ عنه حتى قيل : «كان أصدق الناس عند الناس على علي أصحاب عبد الله»<sup>(١٦)</sup> وكيف يكونون أصدق الناس في الرواية عنه إلا لأنه التقى بهم كثيراً وأخذوا عنه، وهو كما عرفنا أحد الفقهاء المكثرين من القنوي من الصحابة. وقد كان له لقاء هؤلاء العلماء في أوقات مخصوصة.<sup>(١٧)</sup> كما أن من بين هؤلاء الأصحاب بعض التابعين الذين بعثهم عمر ابن الخطاب إلى الكوفة لتولي مسؤوليات لها علاقة وثيقة بالفقه والتشريع، فشرح الكندي، الذي تعدد بعض الروايات أحد أصحاب ابن مسعود، قد بعثه عمر لتولي قضاء الكوفة. ولا بد أن يكون شرع قد أعد هذه المهمة بالتلقي عن كبار الصحابة في المدينة قبل تعيينه قاضياً

للكوفة. والذي يمكن الوصول اليه من خلال هذه المعلومات أن هؤلاء النخبة من العلماء قد تضاعفت عدة عوامل لتجعل منهم علماء متميزين في مركز الكوفة العلمي مع بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

لقد كان هؤلاء العلماء دور هام خلال هذه المرحلة من نحو الفقه الإسلامي فهي المرحلة التي تلت عصر كبار الصحابة في العقد الخامس والسادس والسابع من القرن الأول، فبعد مرحلة التأسيس التي شارك فيها كبار الصحابة جاءت مرحلة هؤلاء العلماء. ولقد ساهموا بجهود واضحة في تأصيل الاتجاه الفقهي لمركز الكوفة العلمي وتستطيع أن تلمس ذلك من خلال ما أوردته المصادر من مساهمات هؤلاء الفقهاء فعلمقة بن قيس النخعي أحد البارزين منهم كان يستفتي حتى من قبل الصحابة، فالشيرازي يروي عن ابن أبي ظبيان قوله: «قلت لأبي: كيف تأتي علمقة وتدع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قال: يا بني إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يسألونه»<sup>(٣٦)</sup> وكان يقال عن عبيدة السلماني «ليس بالكوفة أعلم بالفریضة من عبيدة» ونظراً لهذه الشهرة واعتراكاً بمكانته العلمية نجد أن قاضي الكوفة شريح ابن الحارث يحيل إليه بعض القضايا التي تحتوي على فرائض<sup>(٣٧)</sup> كما تظهر هذه المساهمات من خلال التصدي لمشاكل الناس فعلمقة بن قيس وإن كره أن يقيم لنفسه حلقة خاصة في المسجد خشية الشهرة وأن يشار إليه<sup>(٣٨)</sup> فإن ذلك لم يمنعه من أن ينشر علمه في الكوفة بإجابة السائلين حتى ولو كان مشغولاً بأمر خاص في بيته<sup>(٣٩)</sup> وستتطرق لدوره العلمي بشكل أوسع حينما نتحدث عنه كتمثيل للمرحلة الأولى من عصر التابعين في الكوفة. وكان مسروق بن الأجدع على القضاء في هذه المرحلة، ودور القضاء هام جداً لا سيما في المرحلة الأولى من تطور الفقه الإسلامي، حيث أن أحكام القضاء تشكل أحد المصادر الهامة نحو الثروة الفقهية. وكان مسروق يقول عن مهمته: «لأن أفضي بقضية فأوافق الحق أو أصيب الحق أحب إلي من رباط سنة في سبيل الله»<sup>(٤٠)</sup> وفي مجال المقارنة بينه وبين شريح يروي ابن سعد عن الشعبي قوله: «كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح أعلم بالقضاء» وكان شريح يستشير مسروقاً<sup>(٤١)</sup> وكان مسروق دور هام من الناحية العلمية في مركز الكوفة لا سيما بعد وفاة علمقة ويروي البغدادي عن سفيان قوله: «بقي مسروق بعد علمقة لا يفضل عليه أحداً»<sup>(٤٢)</sup> وإن كان ذلك لم يستمر طويلاً حيث توفي مسروق بعد علمقة بسنة واحدة، إلا أن ذلك بين المكانة الرفيعة التي كان مسروق يتمتع بها بين أصحاب ابن مسعود.

ودور هؤلاء النخبة من العلماء في هذه المرحلة لم يقتصر فقط على مجرد التصدي للمشكلات الفقهية التي تطرأ في وقتهم وتصدّر الإفتاء في الكوفة وتولى مسؤوليات القضاء في العراق، بل إن الدور الهام الذي قاموا به يتعدى حدود ذلك. وذلك بتبنيهم لطبقة جديدة من الفقهاء، فمشاهير علماء الكوفة في مرحلة التابعين كانوا تلاميذ هؤلاء العلماء في مرحلة صغار الصحابة. وإذا كان الفقهاء من صغار الصحابة أمثال ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله قد تصدروا الحركة الفقهية في الحجاز خلال هذه المرحلة،<sup>(٣٣)</sup> فإن هؤلاء العلماء من أصحاب ابن مسعود، ومن في طبقتهم قد قاموا بدور مشابه لدور صغار الصحابة من حيث إعدادهم للجيل الثاني من فقهاء التابعين في مركز الكوفة فإبراهيم النخعي إمام الكوفة وعالمها المشهور خلال عصر التابعين، وعامر الشعبي وغيرهم من فقهاء الكوفة في أواخر القرن الأول الهجري كانوا تلاميذاً لعقمة بن قيس النخعي ولعبيدة السلماني، فالذهبي يشير إلى مصادر علم هذه الطبقة من العلماء ويقول بأنهم رويوا عن عقمة وعبيدة. ويشير إلى مصادر علم إبراهيم بن يزيد النخعي قائلاً بأن فقيه العراق قد روى عن عقمة ومسروق وخاله الأسود ابن يزيد وشرح القاضي وعبيدة السلماني<sup>(٣٤)</sup>. وهؤلاء هم المشاهير من أصحاب ابن مسعود في الكوفة.

والإعداد للجيل الثاني من الفقهاء في مركز الكوفة العلمي أخذ أشكالاً متعددة، منها الرواية المباشرة عنهم، ومنها حضور الجلسات والحلقات الخاصة كذلك التي يعقدها عقمة في بيته، أو حلقة المسجد التي كان عبيدة يعقدها، أو الجلسات الخاصة التي كان يرتادها جيل التلاميذ في هذه المرحلة عند مسروق بن الأجدع، كما يشير إلى ذلك ابن سريين أحد التلاميذ في هذه الفترة<sup>(٣٥)</sup>. ولقد أثر هؤلاء الأصحاب في جيل التلاميذ بحيث نستطيع أن نلمس هذا الأثر في الربع الأخير من القرن الأول الهجري من خلال نظرنا إلى الحياة العلمية في مركز الكوفة، حيث أصبح هذا المركز يجمع بالعلماء وظهرت الحلقات العلمية المشهورة في مسجد الكوفة لا سيما الفقهية منها كحلقة إبراهيم النخعي وغيره من الفقهاء.

وستتناول فيما يلي المشاهير من فقهاء التابعين بالكوفة خلال عصر التابعين بالدراسة محاولين التعرف على حياتهم العلمية ودورهم في الحركة الفقهية لهذا المركز الهام.



## مشاهير الفقهاء في الكوفة :

لمعرفة المشاهير من الفقهاء في عصر التابعين في هذا المركز لا بد من تجزئة عصر التابعين إلى مراحل ثلاث :

**المرحلة الأولى :** تبدأ من عام الأربعين، وتنتهي بمنتصف النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وفي خلال هذه المرحلة كان الدور البارز لكبار علماء التابعين في الكوفة على العكس مما لاحظنا في دراستنا السابقة للحركة الفقهية في الحجاز، حيث الدور القيادي في الحركة الفقهية في هذه الفترة لا يزال لصغار الصحابة. أمّا في الكوفة فعل الرغم من وجود عدد من الصحابة فيها على قيد الحياة إلا أنّ هؤلاء لم يكونوا من بين المشهورين بكثرة الفتوى. لذا فإن الأوائل من علماء التابعين من تلاميذ ابن مسعود وعمر وعلي بن أبي طالب هم الذين تولوا قيادة مركز الكوفة العلمي تدريجاً وإقتناءً. ونظراً لكثرة هؤلاء العلماء - كما سبق أن أشرنا - فلا يسعنا في دراسة كهذه أن نترجم لهم جميعاً ولكن سنختار من بينهم شخصيتين هامتين لتدرسهما بمثلين هذه المرحلة، وهما أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي المتوفى سنة ٦٢هـ، وأبو عمرو عبيدة بن عمرو السلماني المتوفى سنة ٧٢هـ.

## علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي :

كان علقمة من بين أصحاب ابن مسعود المقربين إليه، بل لقد كان من أكبرهم مقاماً كما يشير إلى ذلك النووي في ترجمته.<sup>(٣٦)</sup> وقد تلقى علقمة علومه الأولية من ابن مسعود ويروي الأسود النخعي مشاهدته لهذه البداية قائلاً : «إنه رأى عبد الله بن مسعود يعلم علقمة التشهد كما يعلمه السورة من القرآن».<sup>(٣٧)</sup> ويبدو أنه كان لعلقمة من المزايا ما جعله يحتل مكانة خاصة عند ابن مسعود. فلقد كان حسن الصوت بالقرآن، وعبد الله يحب أن يسمع القرآن منه مرتلاً.<sup>(٣٨)</sup> وكان علقمة حريصاً على التعلم مما جعله أثيراً عند ابن مسعود فقد فضله على سائر زملائه، وأوضح بأن علقمة له من المقدرة العلمية مثل ما كان لعبد الله نفسه فهو يقول : «ما أقرأ شيئاً ولا أعلم شيئاً إلا وعلقمة يقرؤه أو يعلمه».<sup>(٣٩)</sup> وعبد الله بن مسعود بهذه العبارة يرشح علقمة ليحل المركز القيادي في الكوفة من حيث الإفتاء وتعليم القرآن فقد ورد «أن عبد الله بن مسعود قد أمر علقمة أن يقرئ من بعده».<sup>(٤٠)</sup> وتعليم الناس القرآن في هذه المرحلة من التطور العلمي والفقهي لم يكن مجرد

تعليم لكيفية القراءة بقدر ما كان دراسة لنصوص القرآن وتلفهما عميقاً لها وعملاً دائماً بما يوحى به القرآن من أحكام. من أجل ذلك كان الناس في هذه المرحلة يأتون إلى قارئ القرآن يسألونه عن أحكام أمور دينهم ودنياهم.

وعلقمة مثله مثل بقية علماء التابعين لم يقتصر على التلقي عن صحابي واحد، ففي الوقت الذي نجده قد لازم عبد الله بن مسعود فترة طويلة وتلقى عنه القرآن والكثير من أحكام الفقه نجده أيضاً تلقى بكبار الصحابة وفقهائهم المعروفين بكثرة الفتوى، فهو قد تلقى بعمر وروى عنه كما تلقى عثمان وعلي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وسلمان وأبي الدرداء وروى عنهم جميعاً<sup>(١١١)</sup> ولم يكن ذلك مجرد صدفة بل إنه قد يضطر إلى السفر للالتقاء بأحد هؤلاء الصحابة، فهو في سبيل الالتقاء بأبي الدرداء والأخذ عنه قد رحل إلى دمشق وأخذ عنه في جامع دمشق<sup>(١١٢)</sup> ونتيجة لجهود علقمة التي بذلها في سبيل التحصيل العلمي استطاع أن يكون لنفسه مكانة علمية عالية، وبالتالي شارك كبار الصحابة دورهم في هذه المرحلة، ففي الوقت الذي كان زيد بن ثابت وعائشة وعبد الله بن عمر يفتون الناس بالمدينة وعبد الله ابن عباس بمكة، كان علقمة يقوم بدور مشابه لهم مع بقية زملائه من التابعين أصحاب ابن مسعود مما جعل بعض الصحابة الموجودين في الكوفة ربما توجهوا إليه ببعض أسئلتهم العلمية كما أشرنا إلى ذلك سابقاً<sup>(١١٣)</sup> وإذا كان الصحابة يتوجهون إليه بأسئلتهم فلا بد أن يكون قد حصل على تلقينهم، وأن له من العلم بما يمكنه من ذلك. وقد ساعد علقمة على تبوأ هذه المكانة الرفيعة في الكوفة خلال هذه المرحلة، خلقه الرفيع الذي كان يتمتع به. وهدوء لا يقارن إلا بهدوء أستاذه ابن مسعود، فهذا عمرو بن شرحبيل التلميذ الآخر لابن مسعود يقول لزملائه: «اتطلقوا بنا إلى أشبه الناس هدباً وسمتاً بعبد الله بن مسعود، يقصد علقمة بن قيس»<sup>(١١٤)</sup> وإذا كان أستاذه عبد الله قد فضله على بقية زملائه، فإننا سنجد أن جيل التلاميذ قد أدرك ذلك. فهذا تلميذ علقمة وابن اخته فقيه الكوفة في عصره إبراهيم بن يزيد النخعي وقد سئل لفاضل بين علقمة وابن أخيه الأسود، فكان جواب إبراهيم تفضيلاً لعلقمة على الأسود<sup>(١١٥)</sup> وكذلك فعل الشعبي حينما طلب منه المناظرة بين الرجلين، ومهما يكن من أمر المناظرة بينه وبين زملائه، والذي ربما يكون للرأي الشخصي دور فيها فإنه على أية حال يعطي مؤشراً على مكانة علقمة في نفوس العلماء وطلبة العلم في عصره.

وإذا أردنا أن نتعرف على دور علقمة في الحركة الفقهية لمركز الكوفة، نجد أن المصادر

## الحركة العلمية في الكوفة

د حميدان بن عبدالله العميدان

بعضاً مشهورة عن ذلك الميراث فهي حقت في كمال عظمة تاريخ علي بن ابي طالب في مسجده  
حاشا لخطو عليه نسيجه وحدث حسيه من الشهرة، ويعتد على الظهور كما غير هو عن ذلك  
بقوله: «أكره أن يقال هذا عظمة»<sup>(١)</sup> فإن هذا لم يمتعه من الثناء بدوره العلمي سوء  
في ذلك، أعني أبو عبد الله، فقد كان به مقصد من علي خلاف صديقه، وفي سنة كان  
يستقبل مشقة منسحق وبغيبه، «مهما» كان يعمل في بقية حتى لم كان مشغولاً بأمو  
به وقد روى أبو عبد الله «كانه» يدخلون على عظمة وهو يفرح عنه «حسب» ويعلمه<sup>(٢)</sup>

ومع حرصه على تعلمه من، فقد كان حريصاً على بعد عن كل ما يمكن أن يؤثر على  
مستلزمه العلمي، «بعضي» صفة شرعية على بعض تصرفات سياسية في كتاب أخرى  
في عصره، «رأى» ما يمكن رصده عنها فحينئذ عليه بعض مقدر من، «أن يكون» له صلاب  
مع الأمر، حتى يعرفه ما يمكنه لأحبه، مع ذلك، «ثبت» بعد عرض، «وهو» مستلزمه العلمي  
مختصر، فكان حواره «أخاف أن يلقوا مني كثير من بعض» فيه<sup>(٣)</sup>

وتقدمت عليه عظمة مع معاصريه من العلماء في سنة حين خدته من العلماء بمحتمل  
مسألة في عنوى ولا حيد في مركز الكوفة من بعدهم، فقد سدد عليه برهمن حتمي وعامر  
شعبي ومن سبزيين وعبد الرحمن بن زياد<sup>(٤)</sup> وعنه من العلماء من أنفسحو أعلاماً في  
الحركة العلمية في العراق بعد وفاة أساتذته «كان» عظمة حريصاً على برعيه في عمله مساً  
أن يتفقه برهمن (إمام) حاشاً به على إكثاره منه فقد «رأى» عن برهمن حتمي قوله «أن  
عظمة» كان يقول لأصحابه «مشو» به ردود إمام يعني بلفظه «<sup>(٥)</sup>» وكان بعض  
بلاطه عن نقاش حتمي ومذكوره من عنوه قتلاً هو «مذكوره» أعني فإن حاشه  
ذكره<sup>(٦)</sup> من سبوه أن تصور من هذه الصفحة من عظمة خلاصه، فهي هذا الوقت  
مكرر حد من تاريخ عفة (إسلامي) «كان» كدنه قد تشرب بين صفة أعني، «معصية»  
أعني يعتمد على حفظه «مذكوره»، «وحدث» عظمة حرصاً بلاطه على تعاقد ما تنعوه وما  
حفظوه بالذاكرة خوفاً من السيان.

وعظمة وزب كان قد توفي في أوائل هذه المرحلة في معرض هذا التألم منه حيث توفي  
بالكوفة سنة الثنتين وستين، «لأن» تأثره حتمي في أئمة عسها كان واضحاً فقد كان يرجع  
في عنوى في مركز الكوفة حتمي قبل وفاته وبعد عصر عسها «وكان» واضحاً كدنت

في تاريخه من خلال مساهمته في تكوينه حين لأخر من بعده، وبذلك فسيح له دور أساسي خلال النصف الثاني من القرن الأول هجري، وحين حينئذ عمدت عليه يد مفسره في ترجمته حسب بعض : «كان قلباً إماماً مقرئاً ثباتاً حجة»<sup>(٥٢١)</sup>

أبو عمرو عبيدة بن عمرو السلمي سنة ٧٢ هـ :

والشخصية الثانية التي نعرض لها بالحدث هو أبو عمرو عبيدة بن عمرو السلمي. ويتفق المؤرخون على أن عبيدة كان من بين كبار العلماء المعتبرين في عصره. فاس سعد يروي أن عبيدة كان من بين أصحاب ابن مسعود الحمصي، بل أنه يروي أن من الرواة من يقدمه عليهم ومنهم من يجعله الشخصية الثانية فهو يقول : «كان أصحاب عبد الله بن مسعود خمسة فمنهم من يقدم عبيدة. ومنهم من يقدم علقمة»<sup>(٥٢٢)</sup>

والرووي يروي عن ابن سيرين قوله : «أدركت الكوفة وما أربعة يعدون للفقهاء ومن بدأ بالحارث ثلثي عبيدة. ومن بدأ بعبيدة ثلثي بالحارث»<sup>(٥٢٣)</sup>

لماذا هذا الإجماع من قبل المؤرخين على مرتبة عبيدة حمصي ؟ يرجع إلى مقدار ما نرى لنا أن عبيدة قد أسلم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين<sup>(٥٢٤)</sup> وهو إذن من جيله فإنه كان على صفة وثيقة بكبار صحابة فهو قد سعى وجمع من عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن زبير. وقد اختص بصحبة علي بن أبي طالب كما يروي ذلك النووي<sup>(٥٢٥)</sup> كما أنه كان من المتقدمين من أصحاب عبد الله بن مسعود. «عبد عبيدة بك» عبيدة مسعود بن بكير بن مدي بن عبد الله بن مسعود. وهو من كبار العلماء في عصره. «من مسعود بن مدي» من مشكلات علقمة، فهو من أهل أصحاب ابن مسعود الذين كانوا يقرعون ويعتزلون<sup>(٥٢٦)</sup>

هذه مرتبة حمصي عبيدة حمصي يرجع إليها كل من يدرى في علمه في عصره، فشرح حمصي. وهو من كبار علماء القرن الأول هجري، من سمرقند في الهند، لا يسعي عن رجوع إلى عبيدة حين يرجع منه لا يجد له حلاً سوى يقول : «كان شرح يد أشكل عليه شيء رسمه بن مسعود»<sup>(٥٢٧)</sup> لا سيما ذلك لأن شرحه بعد عرقته وتوزيع ميراثه، وبني حتى عبيدة الأخير به وبشره ي يقول : «من الكوفة أعلم من عبيدة بن مسعود» وبذلك

## الحركة العلمية في الكوفة

د. محمد بن عبد الله الحميدان

قولا : «كان عبيدة جالس في مسجد، فرد ورد على سراج فريضة فيه حمار، فعلمها من عبيدة فعرضها» (١٠٩)

وإذا أردنا أن نتعرف على مساهمات عبادة العلمية ومهجه في الفتوى خلال هذه المرحلة، فإننا نستطيع تلمس ذلك في تعيين من يعدون من المصادر التي وردت المصادر عنه فابن سيرين وقد تكلم عليه بصف صريح عبادة الفقهي قائلا : «ما رأيت أشد بؤفا من عبيدة» وهذا يعني بأنه كان حريصا على أن لا يقول ما ليس به علم، ولا أن يعي برأي، لا وهو ما أكد من سنده ويؤيد هذا تفسير موقفه من تفسير عمر بن الخطاب وهو يرفض تفسير أبي عبيدة عن أبيه، وردت كان ذلك في وأخر حياته حين بدأ حسن وحوش في مسائل فلسفية، وبدأ بالمشاغل بأحد صناعه وأتبعه من أئمنته وهم كبار علماء صحابة وابن سيرين يروي قائلا : «سألت عبيدة عن شيء فقال : «عشيت رأيت به وسدد فقد ذهب حديث كانوا يعملون فيما قرب القرآن»<sup>١٠١</sup> وأعلمه بهذه العبارة يريد أن يعرف بعبيدة عن المشاغل بأبي عبيدة، وأن عبيدة كان يأخذ عما يظهره من أئمنته يروي ترك الحق في ذلك لأنه لا يعلمه، لا عبيدة وهو صحابة وقد ذهبوا ويتضح موقف عبيدة حين هذا في موقفه من لأشهره معروفه في عصره، فابن سيرين يقول : «سألت عبيدة عن شيء فقال : قد أحدثت ما ليس أشبهه، فعلي شرب ماء عشرين سنة لا ماء وليس ينفعني»<sup>١٠٢</sup>

ويبدو أن السوي وخوف من يقول على أنه يعبر عنه كان صفة بارزة عبادة، بل رجع أنه حتى الآراء العلمية التي يقول بها بناء على جهوده، يرفض أن يسجل مع ما يرويه تلاميذه من علم موروث عن أئمنته عن أئمنته عن أئمنته عن أئمنته عن أئمنته عن أئمنته، كما هي قائمة بتعتبر. فتلميذه إبراهيم بن يحيى يذكر حين أراد أن يكتب رسالة أساده عبادة لاحتياذية أنه جاء عن ذلك قائلا : «لا حديث عني كذا»<sup>١٠٣</sup> هذا الموقف ظل ملازما له حتى آخر لحظة من حياته، وقد عدهم الحسن بن علي بن فضال عن ما في بيته من كتب وتمر سلانه وأتبعه، فالحصان بن عيسى يروي قائلا : «دعي عبيدة يكتبه عند موته فمجدها وقال : «أحشيت»<sup>١٠٤</sup> بنها أحد بعدي فمجدوها في غير موضعها»<sup>١٠٥</sup> وأعلمه في هذا كان متأثر موقف أساده عبد الله بن مسعود من الكتابة حيث كان يكرهه ويروي عن به عند ترجمه قوله : «كنا نسمع الشيء فكتبه، فعرض به عبد الله فدعا له وبده، ودعا بالكتاب وبأحابة من ماء، فعصمه»<sup>١٠٦</sup>

وهو يقصر دور وحدة على إلقاء في عصره من بعده بن بغداد حين مؤهل من علماء  
 حنبل سنة ١٠٠٠ من بعده، ومعظم علماء الذين في الكوفة قد تسموا عنه وأحد عنه.  
 ومعه إبراهيم الحنفي وعمر الشعبي من الكوفة في عصره، وعنه من صيرين بن  
 نصر ١٠٠٠ وعلى حد الأسس في- بعده قد أثر في مركز الكوفة عيسى بن  
 عيسى بن كبر بن كبر بن كبر في عصره، أو من صيرين بن كبر بن كبر بن كبر  
 بن كبر في الكوفة حتى نهاية القرن الأول الهجري، وكان لأحد في- ذلك - يقصر على  
 الكوفة بل أنه قد تعداه إلى أن يؤثر في مركز عصره عيسى بن صيرين

### المرحلة الثانية

هذه المرحلة تمتد من العقد السابع من القرن الأول الهجري إلى نهايته، وهي المرحلة  
 المعروفة بمرحلة كبار التابعين، وقد برز في الكوفة خلال هذه المرحلة ثلاثة من العلماء،  
 كان لهم دور هام ورئيسي في الحركة العلمية والفقهية بشكل خاص في مركز الكوفة العلمي  
 وهم عامر بن شراحيل المتوفى سنة ١٠٣ هـ. وسعيد بن جبيرة المتوفى سنة ٩٥ هـ،  
 وإبراهيم بن يزيد الحنفي المتوفى سنة ٩٦ هـ. ونظراً لأننا قد قصرنا الحديث في كل مرحلة  
 على عالين فقط فإننا سوف نتحدث عن عامر الشعبي وإبراهيم الحنفي، لأن دورهما في  
 الحركة الفقهية في الكوفة كان ظاهراً، بالإضافة إلى أن سعيد بن جبيرة قد مشأ في مركز  
 مكة العلمي، ثم إنه لم يستقر استقراراً كاملاً في الكوفة كما هي الحال بالنسبة لعالمي الكوفة  
 الشعبي والحنفي.

### عامر بن شراحيل الشعبي :

ولد الشعبي حسب ما يروي الثوري لستين حنانياً من خلافة عثمان بن عفان ١٧١  
 وهو بذلك يكون قد أدرك جمعا كثيراً من الصحابة لا سيما المحدثين منهم، وقد ذكر ابن  
 سعد أنه قد روى عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس وسمرة بن جندب والمغيرة بن  
 شعبه والبراء بن عازب وعمران بن الحصين، وجمع كثير من كبار الصحابة  
 وصغارهم. ١٨١ ويحكم نشاط الشعبي بالكوفة فهو قد تعلم على أساتذتها الكبار تلاميذ  
 ابن مسعود، أمثال علقمة بن قيس الحنفي والأسود بن يزيد الحنفي وعبيدة السلماني ١٩١



الموقف دون أن ينصرف إلى الاعتراف بأنه قد خرج عن الإسلام بشرائه في ذلك المعركة<sup>(١٨١)</sup> وكان شعبي من جناب ما جعله لأسفاده منه ثمراً في صالح الدولة، وتشمير المصادر إلى إصداره سياسة التي قد بدأ شعبي إلى الدولة لأموية وحاربها ليرفضه بناء على طلب من اجتماع عدد منث من مروءة ذلك كاتب مصادر، وتوضح طبيعة هذه السفارة إلا أنه ينبغي وصفاً من روياء أن شعبي قد قد يهدد مهمته على كمال وجه<sup>(١٨٢)</sup>

ولدي يجب في هذا على هو شعبي جاء نفسه، وقد شهد به علماء من كبار العلماء بالعلمة فهذا هو محور يقول: «ما رأيت فقيهاً فقه من شعبي» ومكحولون بهذه الشبهة وفقيهاً يقول عنه: «ما رأيت أعلمه منه مذهب من شعبي»<sup>(١٨٣)</sup> وهذه العبارات تدل دلالة واضحة على مكانة الشعبي الفقهية.

وعلى الرغم من أن هذا قد ينصرف على دراسة شخصيات لعقبيه المؤثرة خلال هذه المرحلة ولا يعني دراسة المذهب لأحدية، حيث أن ذلك موضوع دراسة قادمة، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى موضوع هذا بردد على الشعبي لأنه هو موقفه من لقول بالرأي وتحقيقه فاعتراف المسبوبة إلى شعبي توحي بأنه يعارض القول بالرأي فمماثل يقول: «استمع الشعبي يقول: عن أبيه رأيت»<sup>(١٨٤)</sup> وحيث صحت منه مسائل أن يفتيه برأيه أحاب: وما تصح برأي، بل على رأي، كدلت ورد عنه بعد ذلك بتقنين بالرأي من معاصرين له من علماء، فهو يقول محذراً من لأحد بأقواله: «ما قالوا بك برأيه في عنه وما حدثوا عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فخذ به»<sup>(١٨٥)</sup>

كيف يمكن لعلم فقيه خلال هذه المرحلة أن يستعني عن القول برأيه في مواجهة القضايا المسجدة والتي قد لا يجد لعلم بعد بحكمها من غير وجه وأقول أصحابه<sup>٥</sup> والإجابة على ذلك لا بد من ملاحظته أمور، منها أن شعبي، كان حريصاً على أن لا يقول على أنه يعبر عنه وصحوف من علمه خوفاً دعاه إلى القول: «أنتي سمعت من عيني كذا» لا عني ولا ي<sup>(١٨٦)</sup> ثم إنه كان يكثر رد المسائل به فقد روي عن الثعلبي من جهاد قوله: «ما رأيت أحد يبيع مبيع شعبي أكثر من قول لا أدري» وقال من قول: «كان لشعبي رد حجة شيء انقذه»<sup>(١٨٧)</sup> ثم أن العصر الذي أصبح فيه شعبي بدماء مرموقاً في كونه كان عصراً يتسم بالمشاققات وحدث الذي ربح تعرق لأموال العقائد، لذلك فإني أقول إن أن ده شعبي بالرأي كان متأثر سحوفه من الإسراع في اعتوى وحشة من لأمر لاق، إلى منتهات القول بالرأي



مصنوع يعان في كل الأمور ويؤدي أموراً عديدة من لغز لإسلامة المنطقة خلال هذه الفترة

ثم إنه لا بد من إشارة إلى أن الشعبي بالرغم من كونه ذلك العالم الذي جده معاصروه ويعرفون له بالفضل والقدرة عظمى، إلا أنه لم ينتشر عنه أنه كان من بين علماء الدين المعروفين انتشاراً أوسع من شأنه أن يترك آثاراً من آثار السلف وأخباره بقيت في الناس عوحيها، وقد فرح بذلك حين أصدر عليه رسائل طائفاً حوثياً مسألة في وجه الشعبي عليه فقال له الشعبي: «أنا فقهاء ولا علماء، ولكنك قد سمعت حديثاً من عبدك في سمعته»<sup>(١٥١)</sup> وبالرغم من التوسع في توضيح في عبارة «لا أنه يعكس» من أحد بعد حقيقة موقف الشعبي من لغز، وهي أنه على آثار دون «لا يصبر إلى الأحقاد» ولذلك يرى بعبده محمد بن عبد الرحمن بن أبي بقول معمر الشعبي مع ربيعة إبراهيم الشعبي «كان الشعبي صاحب آثار» كان إبراهيم الشعبي صاحب قياسه<sup>(١٥٢)</sup> ويروي إسلامه مقارن أن الشعبي كان مسلماً في الحديث وإبراهيم مسلماً فرد حداثته على السلف إبراهيم والفضل الشعبي<sup>(١٥٣)</sup> ويروي إبراهيم بن أبي أن كان الشعبي وأبو الحسن إبراهيم وأصحابه ممنوعون في مسجد صدقوا حديثاً جاء به فتدليس عدهم بها شيء، روى بإخباره بن إبراهيم الشعبي، «إذ عرف أن الشعبي وإبراهيم الشعبي كانا معاصرين في مركز عملي واحد، وبسبب من سادته ما بين ربيعة، وإن العلاقة بينهما لم تكن دائماً على أفضل وجه»<sup>(١٥٤)</sup> حديث فإسي أمين بن نصير العارث لمسوية الشعبي حول ده رأيي والفتن بن بأنها رأيت تدحل في مصاف السيرة بن ربيعة، فاشعبي لم تكن به نفس لقدرة العقبة التي كان يتمتع بها إبراهيم، فلا بد أنه أحس بهذا الفخر لإبراهيم وبسبب بآخاه ومهجة فصدر عنه ما صدر حين القبول بالرأي والقياس، وتبدو سادته واضحة من خلال عبارة المسوية لشعبي وأصف إبراهيم: «ألا يحجب من هذا لأعور فإسي بامل قياسي ويعني بالهدى - يعني إبراهيم»<sup>(١٥٥)</sup> وعلى هذا الأساس فإسي اعتقد بأن ما صدر عنه من عبارات في هذا حال لا يخلل ثباته فقهياً معياً سواء بالنسبة لشعبي أو لمعاصريه، وساء عليه فإسي أحسن بعض الشيء مع ما أورده الخواري حين قال: «كان فقه الشعبي مؤسساً على الآثار لا رأيي، فهو صد إبراهيم الشعبي مع عرفته»<sup>(١٥٦)</sup> وواقع الأمر يشير إلى أن فقه الشعبي كان ثباتاً، ولم يكن فقهياً مؤسساً على آثار، بل كان آثاراً من لسانه وأقوال أصحابه، وآراء أساتذته كان يعلمها وبقيت عوحيها دون أن يكون من بين المستطوعين للأحكام من

تخصص وسوف يفتش هذا الموضوع بعمق أكثر في درسه القادمة عن مساهم الاحتفاء  
بشاعرين

ومهم يكن من أمر موقفه من الاحتفاء ونقوب برأي قاب ذم ه يقبل من أهمية دور  
بدي قدمه في حركة معهية ونعنه في الكوفة. فعنه توسع وحققه رث استيع  
تصدي للإفاء وسعم وقصه فرد من زمن كاهه مع لعنه، لأخرين في شمله حيق  
حديث من لعنه تحمل مسؤوله عنة من بعده

### إبراهيم بن يزيد النخعي :

ولد إبراهيم في أواخر النصف الأول من القرون الأول المجرى. وهو إن أدرك بعض  
الصحابة إلا أن معظم علمه تلقاه عن كبار التابعين بالكوفة. وإذا عرفنا شأنه العلمية سهل  
علينا إدراك سرعة ظهور إبراهيم وتصدره للقيادة العلمية في مركز الكوفة العلمي ما لسا  
بذلك من هم أكبر منه ساء وأقدم في الأحد عن الصحابة أمثال الشعبي ولقد عرفنا فيما  
سبق أن من بين من تولوا القيادة العلمية في الكوفة في المرحلة الأولى من عصر التابعين  
في الكوفة علقمة بن قيس الحمصي وهو عم إبراهيم والأسود بن يزيد الحمصي وهو خال  
إبراهيم وبحكم القرابة فقد كان ملتصقاً بكل من علقمة والأسود، وكان معهما بشكل دائم.  
وقد دخل معهما على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد ورد في طبقات ابن سعد  
كان يخرج مع عمه وخاله، علقمة والأسود. وكان يدخل على عائشة، حيث كان بينهم وبين  
عائشة إحصاء ورد<sup>(٩٢)</sup>، ويشير أبو قيس إلى قوة الصلة التي تربط إبراهيم بعمة علقمة  
قائلاً: «رأيت إبراهيم غلاماً مخلوقاً له يمسك لعلقمة بالركاب يوم الجمعة»<sup>(٩٣)</sup>، كل  
ذلك يوضح لنا أن إبراهيم قد نشأ في وسط علمي قد أثر في اتجاهه وتفكيره ووجهه مد  
الديانة لطلب العلم. لا سيما وأن كلا من عمه وخاله قد لسا فيه الرغبة في هذا الاتجاه  
مع المقدرة فنياً فيه حب العلم وساعده على بلوغ ما بلغ من مكانة علمية متقدمة ولكن  
إبراهيم مع التصاقه بكل من علقمة والأسود بحكم القرابة فإنه لم يقصر نفسه عليهما، بل  
أنه قد تتلمذ على زملائهم من كبار التابعين. فقد كان يحضر حلقة مسروق بن الأندع  
بشكل دائم، ولذلك يقول ابن سيرين: «إني لأحسب إبراهيم الذي تذكرون حتى كان يخالسا  
فيما أعلم عد مسروق كأنه ليس معاً وهو معاً»<sup>(٩٤)</sup>، كذلك تلقى العلم وروى عن أحد

العلماء المبرزين في عصره وإمام الكوفة في وقت من الأوقات عبيدة السلماني كما يشير إلى ذلك أبو نعيم<sup>(٩٤)</sup> ويؤيد ذلك ما أورده الخطيب البغدادي عن تلقّي إبراهيم النخعي عن عبيدة فهو يروي عن ابن سيرين قوله: «كل شيء روى إبراهيم النخعي عن عبيدة سوى رأيه فإنه عن عبد الله إلا حديثاً واحداً»<sup>(٩٥)</sup>.

إذن لقد غيأت كل الأسباب لإبراهيم ليكون نفسه مركزاً قيادياً في الكوفة من الناحية العلمية ولم تنتصف هذه الفترة حتى أصبح إبراهيم النخعي إمام الكوفة وفقهياً منافساً بذلك الإمام الآخر عامر الشعبي. ولأجل هذا التنافس تولدت بين الرجلين حقوة سبقت أن أشربا إليها ومع ذلك فقد صدر عن كل منهما ما يوحى باحترامه للآخر، فإبراهيم لم يتحدث في مجلس يكون فيه الشعبي تأدياً معه باعتباره أكرمه سناً<sup>(٩٦)</sup> والشعبي عثر عن تقديره لإبراهيم، وإن كان ذلك بعد وفاته بقوله: «لو قلت أعي العلم ما حلف بعده مثله، وسأخبركم عن ذلك. أنه بشأ في أهل بيت فقه فأحد فقههم، ثم حالسنا فأخذ صغر حديثنا إلى فقه أهل بيته فمن كملهم»<sup>(٩٧)</sup>.

وإذا أردنا أن نعرف عن مكانته العلمية فلا بد من استئناس بأقوال معاصريه من رمالته وتلاميذه باعتبار أنها تمثل مركز حقيقي يدي كآب إبراهيم يتمتع به، فقد روي عنه سعيد بن جبور يقول للناس: «تستقصوني وفيكم إبراهيم»<sup>(٩٨)</sup> وشعبي عن ربه من بعده أبي كاتب بن بكير يقول عنه بعد وفاته: «عجب به حين يفصل من خير على نفسه»<sup>(٩٩)</sup> وقد أشربا سبغاً إلى رواية أبي نعيم في حبه من كوث حماد في مركز الكوفة النخعي برموه باعتباره من إبراهيم النخعي حين ترد مسألة أبي إسحق عدهم في شيء ما كان إبراهيم هو مرجع خيل لمصطلحات فقهية هي كانت تحده حماد في الكوفة بذلك<sup>(١٠٠)</sup> هذا السؤال يعود إلى مناقشة موقف إبراهيم النخعي من بعض صور التكبرية والفقهية في عصره، هذا موقف إبراهيم كان مثيلاً لجدل بين مؤرخي هذه الإسلاميين بعد ذلك، وبما أن هذا بحث يركز على دراسة شخصيات علمية في حركة فقهية في عراق، وسيرجي، حيث مذهبهم لاختلافية بين دراسة أخرى، فإن وجهة نظر أبي إسحق صرحنا من خلال بحث موقف إبراهيم من تطورات فقهية تمثل وجهة نظر منهية من خلال المعومات متوفرة هذا البحث لقد كان إبراهيم موقف معية كان لها تأثير على مكانته العلمية ومباحته من هذه المواقف

كثيرة لمجدد موقفه من رويته الحديث، بشكك مدني كان يرى أن الرواية في عصره كانت  
 تملأ باللعاني دون أن يحفظ فيها عن تكلمات وخبروات التي نقل بها صاحب سواء كان حديث  
 هو الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد صحابه كثر أو عملاء المسلمين من عول يقولون  
 «كان إبراهيم يحدث باللعاني»<sup>١١</sup> ومعنى أنه يحدث باللعاني أنه لا يمكن به أن يكون له حال  
 ناسبه لبعض الأثر في عصره، فالحقيقة على بعض حكماء الأثر مروى بقدر ما كان بهمة  
 ما يحوي عليه بعض من معنى وهذا في وقت لا يظهر فيه بعد قعود الرواية كما ظهر في  
 لقرن الثاني هجري ثم أنه كان لا يرى بأساً من أن يجمع بين أقوال الرسول صلى الله عليه  
 وسلم وأقوال صحابته بأخبار أن كلا منهما سنة فقد أخذ بلامبده بسأله «قلت لإبراهيم  
 يا أبا عمر، أما سمعت حديث عن سي صلى الله عليه وسلم حدث به قال بلى، ولكن  
 أقول قال عمر وقال عبد الله وقال علقمة وقال لأسود أحد ذلك أهول علي»<sup>١٢</sup> (ب)  
 ومعنى ذلك أنه جمع بين أقوال الرسول والصحابة وشائعين وبمسب إلى من رواها له، ولا  
 يسب إلى الرسول مباشرة خشية من أن يسب حصاً إلى الرسول مما يقفه ثم أنه قد أخذ  
 بسنة موقفاً من أي رواية بأن لا يقبها حتى يعضب بسبق، ولا يقبها على أساس أنها سنة  
 مما يصمد أمامه، ويتضح هذا موقف منه في نقده لحديث علقمة بن وائل عن أبيه في  
 رفع السي صلى الله عليه وسلم يديه عند تركوع وعبد الله رفع يديه<sup>١٣</sup> «وقد عرفت أنه  
 المدة عن تغيير الأثر ومعرفته صحيحاً فقد لأعشى وهو من كبار عملاء الحديث  
 في عصره يقول عن إبراهيم «كان صبري حديث، فكنت إذا سمعت حديث من بعض  
 أصحاب عروسة عليه<sup>١٤</sup>» «ما تعرض على إبراهيم<sup>١٥</sup> وبأنى جواب من عبارة نفسها، أنه  
 صبري الحديث عدم به خبر صحيحه من سقيم، وقد لاحظ لأعشى ذلك فهو يقول «ما  
 ذكرت لإبراهيم حديث قط إلا ردني فيه»<sup>١٦</sup> «هذا لاجد اسمع في نقد الحديث وعدم  
 قبوله إذا لم يصمد بسبق الأثر عن إبراهيم يوماً من بعض العلماء في عصره فهذا حماد بن  
 زيد يقول «ما كان ناكوفه رجل وحش رد الأثر من إبراهيم نقه ما سمع»<sup>١٧</sup> وفي  
 اعتقادي أن في هذه العبارة بعض أسأله، فقد عرفنا أن إبراهيم لا يمكن يرد الأثر كونه  
 لم يسمع بها من قبل وعادة لأعشى اسمعه خير دليل على ذلك، ثم أن إبراهيم لم يرد كل  
 الآثار ولا الآثار التي صمدت بقده لشديد، وإنما يرد تلك الآثار التي لم يصمد بذلك اسبق  
 ولذلك فإن عادة لأعشى الثانية هي تكون كبير صدقاً في وصف موقف إبراهيم من الآثار  
 التي تروى له ولم يسمعها من قبل فهو يقول : «ما رأيت أحداً أرد حديثاً لم يسمعه من

بر هذه <sup>١٥</sup> " ومعنى التواضع من هذه عبارة هو " بر هذه لا يعني بكل ما يروى به فكثير ما يرد الأحاديث التي تروى به وذلك بناء على ما نُشر بأنه من بقية الأحاديث، ولم يكن هذا الرد غروراً به، بل سمع به من قبل وقد كان بر هذه لا يعني بكل ما يروى به، ولغنى هذا، في ذلك عصر على أنه به بشكل أساسي فلا بد من تدقيق القول بكل ما يروى، وهذا بقوله بأن صفة موقف بر هذه من قياسه واستخدامه معقول وبارئ عن صيريق الأحاديث الموصولة إلى حل المشكلات المعقدة التي تواجهه، وفي هذا موقف بر هذه لا يتبدل شيئاً جديداً، بل لأخرى أنه يبي على الصيغة التي تأتي مُستخدمة ومن قبله فقهاء الصحابة يستعملونها، وهي جميع بين برويه مؤنوفة وبارئ سبباً بالمصون إلى حكم الشرعي في مسألة مقروحة خدش وكان بر هذه يرد به ثلث مسائل مما هو يقول " ولا يستعمل رأيي إلا بروية، ولا روية إلا رأيي " <sup>١٦</sup> وهذا سبباً بين سجده عقله ونطقه هو غيره عيشه التي صهرت حياء على بر هذه سحفي ومثيرة عن غيره من علماء عصره في مركز كونه عيسى حتى أنه يرمون بأنهم به حجة عليهم مشككة لا يصحون إلقاء فيه بمجرد لأحد على ما رآه في هذا المقطع وقد شارك بر هذه سحفي ومثالة من علماء في عصره في رد الآراء التي بدأت تظهر في هذه الحجة والتي جعلت في حاد عصره في تفكير العقائدي، فهذا هو حجة يقول " ما كثر الخلافات بالكونية ألب بر هذه سحفي فليس به " <sup>١٧</sup> غير أن ما يرى ما صهر بالكونية من مقالات، فقد " دلفيو قولاً وحترغو ذباً من قبل نفسه ليس من كتابه " <sup>١٨</sup> من سنة رسول به فليس به بكنه " صده فقدم " قد هو الحق وما حجة به حق، بعد تركو دين محمد صلى الله عليه وسلم يات وبياهه " <sup>١٩</sup> وفي روية أخرى يقول عليه " بكنه ما رأيت فيما أُحدثوا مثلاً حجة من حجة " <sup>٢٠</sup> إذن فإن بر هذه مع كونه قد أخذ بالرأي وسجده عقله ومصون " قياساً " حكماً شرعية مبينة على ما وصفه من خصوص، وهو مع ذلك يعقل مع العلماء الآخرين في هجومه على أهل الآراء والأهواء في الأمور العقائدية.

[illegible]

في مسان جلاله في بدمه ككوفه وكان برهم قد نعدّه بدت حلال حبه، وكان يقوم بحمل مسؤوليه فتوى مع وجود برهم مما أدى إلى أحد سلامه من أن سأل برهم عن ذلك، وكان حبه، صحت في سألته. لأمر بعبه. يوم سمعه وقد سألني عما يسنوي عن عشره. أحسن سألته عند بدت من برهم فبلا من سأل بعدت فأجاب قائلاً حماد<sup>١١١</sup> ويوم سوي عن برهم سأل حماد<sup>١١٢</sup> فجمعوا على بوشعه وحلاله وبرعته في عده<sup>١١٣</sup>.

### المرحلة الثالثة :

هذه هي المرحلة الأخيرة لعصر التابعين في الكوفة، وهي تمتد من أواخر القرن الأول الهجري حتى أوائل القرن الثاني. وتعتبر مرحلة هامة جداً باعتبار أنها تشكل حلقة الوصل بين كبار التابعين في الكوفة من جهة وأئمة المذهب الحنفي من جهة أخرى ودور الفقهاء في هذه المرحلة هام جداً لمؤرخ الفقه الإسلامي، فهم الذين نقلوا التراث الفقهي لعلماء التابعين في القرن الأول الهجري إلى عصر الأئمة المنتهدين وعلى أيديهم تخرج أئمة المذهب الحنفي في الكوفة، وأنشأوا بشكل كبير على الاتجاهات الفقهية لهذا المذهب وقد برز في هذه المرحلة أربعة من العلماء هم: الحكم بن عيسى المتوفى سنة ١١٥هـ، ومبارك بن دثار السدوسي المتوفى سنة ١١٦هـ، وأبو يحيى حبيب بن أبي ثابت المتوفى سنة ١١٩هـ، وحماد بن أبي سليمان المتوفى سنة ١٢٠هـ. وكما تعودنا من اختيار شخصيتين لثلاث المراحل، وحيث كان تأثير الشخصيتين الأخيرتين قوياً في مركز الكوفة العلمي خلال هذه المرحلة ودورهما هاماً بالنسبة لعصر أئمة المذاهب، سوف نقصر الدراسة عليهما.

#### حبيب بن أبي ثابت :

لقد ولد حبيب بن أبي ثابت في مرحلة مبكرة جداً من عصر التابعين فقد سئل عن سبه فأجاب بأنه قد بلغ ثلاث وسبعين سنة<sup>١١٤</sup> وعلى أبعد احتمال أنه سئل في السنة التي توفي فيها فيكون تاريخ ولادته سنة ٤٦هـ وقد اختلف في تاريخ وفاته فابن سعد يروي أنه توفي سنة ١١٩هـ، والشيрази يروي أن وفاته كانت سنة ١١٧هـ. أما الذهبي فيشير إلى أن هناك احتمالين لتاريخ الوفاة الأول سنة ١١٩هـ، والثاني سنة ١٢٢هـ ولعل ذلك يرجع

رواية ابن سعد بأن وفاته كانت سنة ١١٩ هـ<sup>(١١٤)</sup> وإذا كان قد ولد في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري فإن ولادته تكون مترامية مع ولادة أستاذه إبراهيم الحنفي، ولقد نبأ له الالتقاء بصغار الصحابة من المفتين أمثال ابن عمر وابن عباس فهو قد روى عن ابن عباس وابن عمر وأبى بن مالك من الصحابة<sup>(١١٥)</sup> ولعل هذه الميزة هي التي جعلت المؤرخين يفضلونه على حماد بن أبي سليمان، فهذا أبو بكر بن عياش يقول: «ما كان بالكوفة أحد لا يدل خيب»<sup>(١١٦)</sup> ويقول الذهبي حينما ترجم له: «أنه فيه الكوفة ومفتيا مع حماد بن أبي سليمان، بل هو أكثر من حماد وأجل مكانة»<sup>(١١٧)</sup>

هذه المكانة الحبيب لم تكن مفصورة على مركز كفة العلمي بل أنها قد تعدت ذلك إلى مناطق أخرى في الدولة الإسلامية، فقد أتى حتى نفاذ قدمه مع حبيب عندئذ فتعجب من الاسم، فأخبره بحبيبه حبيب بن أبي نعيم وهو يقول: «أقدمت مع حبيب بن أبي نعيم فكنّا قدمه عبيد بن زياد»<sup>(١١٨)</sup> وحبيب عند حبيب وقتبه «بصيرته» فتنقوا في مركز كفة الحنفي، فبه كان جود سحر، ولا سيما مع حبيب بن عبيد، وسقطعين نذر منه مبشر، فمؤرخه يسمكون من لا سحر في سحره حنفي فقد روى عن كامل بن علاء قوله: «يقول حبيب بن أبي نعيم عن عطاء بن عبيد بن زياد»<sup>(١١٩)</sup> «وعدّه الشريفي من ثلاثة كبار الذين كانوا يتصدرون مركز كفة الحنفي»<sup>(١٢٠)</sup> فقد يقول: «ثلاثة من هم مع حبيب بن أبي نعيم، وحكيم بن عبيد، وحماد بن أبي سليمان»<sup>(١٢١)</sup> وابن سعد يصيغ ذلك هكذا: «كان هؤلاء الثلاثة صحابة عبيد وهو مشهور»<sup>(١٢٢)</sup> فقد كان حبيب معصراً ورملاً لأمره الحنفي، ولكنه لم يترك كبره في كفة، بل بعد وفاته برهه وحدث أنه قد تسلم على برهه وعن سعد بن حبيب وفي عهد الرضا تسمي وعبره من تابعين جاريين في مرحلة شابه من عصر التابعين في كفة، ويصبح من أهل عباد بن ريث سب عدم ظهوره من بين أعضاء الجاريين في تلك مرحلة كفة<sup>(١٢٣)</sup> وأما عرفا سابقا فحبيب قد جمع بين شغلي عن بعض علماء القصد وكبار علماء التابعين، وجمعه في شغلي بهما قد أنهى ليكون مرحباً لعلماء خارج نطاق مركز كفة الحنفي في هذه مرحلة، فاصدار يوضح أن إمام مكة وعطاء بن أبي رباح قد تسلم وشغلي عن حبيب بن أبي نعيم على الرغم من كون عطاء من بين كبار التابعين<sup>(١٢٤)</sup> وقد روى عنه العديد من علماء التابعين في هذه مرحلة، أمثال عبد العزيز بن أبي رباح ولأعشى وسفيان الثوري، وسعد بن

«أبو بكر بن حماد بن محمد بن حماد وعنه من كثر العلماء» (١٢٣).

ورد كان بعض من جن قد فتنوه على حماد بن أبي سليمان من شهرة حماد كاستاد الإمام أبي حنيفة قد جعل من شهرة حبيب لا سيما في عرف أبي حنيفة الكوفة وعنده إبراهيم بن يحيى قد شخ حماد بن أبي حنيفة مع وجود حبيب، الأمر الذي غير مكانة حماد من أبي الكوفة ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون هو الذي قد سبب في هذا الحركة الحسنية جانب حماد سواء في إلقاءه في بغداد حينئذ من سببه في تصويره في صورة إنساني مبدع خلال مرحلة أئمة المذاهب.

حماد بن أبي سليمان

لقد كان والد حماد موسى لأبي موسى الأشعري. وكان حماد موسى لإبراهيم بن أبي موسى (١٢٤) ولذلك فهو قد نشأ في وسط علمي فالمعروف أن أبا موسى الأشعري أحد علماء الصحابة. وأنه أبو برده من مشاهير القضاة في القرون الأولى الهجرية. فليس عروبا بعد ذلك على حماد أن يتجه للسمع والرواية وطلب العلم. لقد بدأ حياته العلمية بالأخذ والتلقي عن أسس من مائت من الصحابة. ثم التفت بسعيد بن المسيب إمام المذاهب وعندها روى عنه. وكذلك عن أبي عبد الله وأبي وائل والشعبي ومن في طبقتهم من العلماء (١٢٥) ولكنه أحسن بعالم الكوفة وإمامها إبراهيم بن يزيد الحنفي فتلقه على يديه وأكثر في الأخذ عنه (١٢٦) وكان من حاشية إبراهيم حيث يحضر حلقاته عدد قليل لا يتجاوز الخمسة وحماد أحدهم (١٢٧) وكان حماد يكثر من السؤال لإبراهيم ليأخذ عنه حتى قال عنه أستاذه: «لقد سألتني عن مائة تسألوني عن عشرة» (١٢٨) ولم يكن حماد يعتمد على الذاكرة فقط، بل كان يسجل ما يسمع من أستاذه. فابن سعد يروي عن جامع من شذاد قوله: «رأيت حمادا يكتب عند إبراهيم في ألواح» (١٢٩).

وكان حماد لأمر أستاذه في ذلك الأمر سهل إبراهيم بن يحيى منه مثل بقية علماء عصره كانوا يكرهون أن يسجل ما يسمعون لأمره كانوا يرون أن هذه رياء حنافية وأنه يفتنهم ويضلهم ولا يرون أنفسهم. فوضع ابن يحيى ألواحهم يسجلون فيهم ما يسمعون وأقول صحاحه في حديث إبراهيم كان يحيى حماد عن كنهه. ولكن حماد كان مصر على ذلك، وربما كان هذا في مرحلته الأخيرة من حياة يحيى حينئذ كتبته وأصبح بعض



عنه، خصوصاً عنه، فاشعبي هذه معصية إبراهيم، كان يصب من بلامده بسجل ما يرويه لهم ويقول: «اكتبوا ما سمعتم مني» وفي حديثه<sup>١٢١</sup> أن إبراهيم فكان له موقف مختلف من عيوب يروي أنه كان يسيي حماد عن مكانه<sup>١٢٢</sup> ولكن لأهمه شديد من قول حماد بدت، ثم مكسه ربيعة عند أساده هي نسي سبب له بدت، وقد أدى هذه لأهمه ثمرة ولشعبي لا يروى على قيد حياة عمر بن حماد بمنى بوجوده ونسجيه وحين بدت وفاة لأسناد أوصى بلامده بأشعبي عن حماد، فمعيرة أحد تلامذه يقول: «كنت إبراهيم من سأل بهذا قال: حماده»<sup>(١٢٣)</sup>

وعنى ربيعة من ربيعة لأساد فإن بلامده له خبر كل معصية من عنه عند حماد فمعيرة حدث عن موقف شعبي في كوفه بعد وفاته برهه فيقول: «لما مات إبراهيم رأينا أن الذي يخلفه الأعشى فأثناه فسأناه عن الحلال والحرام فإذا لا شيء، فسأناه عن الفرائض فإذا هي عنه، قال: «أنا حماد فسأده عن ميراثي فرد لاسي، فسأده عن حلال وحرم فإذا هو صاحبه، من فأجد، ميراثي عن لأعشى وأجد حلال وحرم عن حماد عن برهه<sup>١٢٤</sup>» بد كان معه حلال وحرم هو الذي يروى عن حماد من أن سبب فإن بدت يشمل كل خروج الفقه الفقه، وقد نقل هذا عنه عن طريق أساده برهه الذي كما عرف عنه ساد كاتب ساحبه عنده هي معصية عنه وفاد لأعشى حماد، أن حماد يمكن مقاد في ربيعة لأن، ولكنه كان حدث في سبب لأعشى، وبدت من عيوب مني من معصية من له «كان حماد يروى عن بري صاحب يروى عن عنه برهه أحقاء<sup>١٢٥</sup>» فله به عن غير برهه له يكن يمس بدت عن يروي بها عن برهه، وعن معصية فاشهور عنه هو الفقه كما يقول شعبة بن جراح: «كان حماد من أن سبب لا يفتق، يعني أن عيب عنه كان الفقه»<sup>(١٢٦)</sup> وقال أبو حاتم: «حماد صدوق وهو مستقيم في الفقه فإذا جاء الأمر شوس»، ويرى محلي أن حماد فقه أصحاب برهه شعبي<sup>(١٢٧)</sup>

ومهما يكن من أمر قدرته في حفظ الآثار فإن ذلك لا يقلل من الدور الهام الذي قام به في تاريخ الفقه الإسلامي في هذه المرحلة الانتقالية من عصر التابعين إلى عصر أئمة المذاهب، فقد ساهم بمجهود واضح في نمو الفقه سواء كان ذلك بالأراء الاستطابية التي اشتهر بها أو بقل آراء أساتذته المدونة لديه لا سيما أساتذه الشعبي إلى الأجيال التالية من العلماء وبحكم كونه أستاذاً للإمام أبي حنيفة فقد أثر تأثيراً واضحاً في مسار تفكير الإمام

أبي حنيفة، وبالتالي في تكوين المذهب الحنفي. ولعل تغلب اسمه وشهرته من بين زملائه فقهاء الكوفة في عصره يعود في المقام الأول إلى تأثيره في الإمام أبي حنيفة. واعتراف علماء المذهب بفصله وعلمه على الرغم من نقد بعض العلماء له فيما يتعلق بحفظه وروايته للأثار، وكذلك فيما يتعلق بخصه في الحدل الفلسفي حتى أنهم بالارحاء كما يروي ابن سعد<sup>١٣٧</sup> ذلك ربما أثر على الاحتجاج به عند المحدثين فأبو حنيفة يقول عنه «صدوق ولكن لا يحتاج به»<sup>١٣٨</sup> ولكن بالرغم من هذا فقد لروايته وخصه في الحدل والمقولات اعترف العلماء له بالاستقامة في الفقه، ونحو حديثه عنه برأي أبي اسحاق الشيباني فيه حيث يقول «ما رأيت أحدا أفقه من حماد قبل ولا الشعي، قال ولا الشعي»<sup>١٣٩</sup>.

#### خاتمة البحث :

في ختام هذا بحث نسعى لقول بأنه قد صهر في خلال عصر ثامن مكر عملي في الكوفة، وب نشأه هذا مكره لكن نحقق صدقه، وبما يعود عضل في نشأه بدور هام يدق فيه به فقهاء عصره في عصر حنفاء برشدين، سواء في ذلك دور حنفاء الذين بنو هؤلاء الفقهاء، في الكوفة، دور عصره معونين في هذا عصر واستفصاه مجموعات من التلاميذ وإعدادهم الذي أدى إلى أن يصهر في هذا مكره مجموعة كثيرة من الفقهاء كان هم دور هام في تأسيس وتصور حركه عقليه في عراق بغداد هذا دور من خلال برحمتنا استحضار محرم من مشاهير هؤلاء الفقهاء، ونسحق - بسهامهم من خلال ما قاموا به من جهد في بحث عقوى وتصديتي مشكلات - من وعو رص حديثه وبن حكمة شرعي فقهاء وكادت جهودهم في تدريس - ربه به - في مساعد على ظهور صفات من الفقهاء في أحيان مساعد من خلال نقل ثروة عقليه من حبل إلى آخر - وبه يكن دورهم مقتصر على نقل مجموعات فقط، إلى أن كثير منهم قد ساهم من خلال الاجتهاد واستخدام الرأي في سمة ثروة العقليه، وبمحو بدت طريق أمه عقليه، في لأحيان ثابته لكي يسهموا في نشر - لعنه بالاحتجاج - وعو رص عقليه في تعاج مشاكل - من محدده، مما كان به لأثر كبير في ظهور مدارس عقليه محسنة، ووجود هذه الثروة العقليه التي تعاج شئ الموضوعات المختلفة.

وفي نهاية برى البحث أنه لا بد من إشارة إلى عصمة رواية بكر سحلاصه من هذا البحث وهي :

فما يتعلق بالمناهج الاحتجادية للتابعين في الكوفة. وحقيقة أن البحث لم يركز على هذه النقطة باعتبار أنها موضوع لدراسة قادمة. إلا أننا قد لمسنا من خلال دراستنا للشخصيات المختلفة في الكوفة أنه كان هناك فريقان من العلماء. الأول، منه في دراسته إلى الرواية وجمع المعلومات من مختلف المصادر يتوحي في ذلك إلى إراء الصحابة وتلاميذهم ثم بعد ذلك يقضي الناس بما توحى به هذه المعلومات دون تعمق فقهي فيها، ودون أن يخرج عن نطاق ما روي له وأسباب ذلك مختلفة فمهم من كانت نمعه شدة الورع من أن يدي رأيا لم يسبق إليه خوفا من أن يقول على الله بغير علم، ومهم من لم تكن لديه القدرة الفقهية اللازمة للاستباط. وتمعه الأمانة العلمية في أن يقضي بما لا يعلم. ولكن هذا النوع من العلماء لم يحرم إبداء الرأي ولا الاستباط الفقهي من النصوص وقد ناقشنا ما ورد من عبارات على ألسنة هؤلاء العلماء مما قد يوحي بتحذيرهم من ذلك. وأرجعناها حسب وجهة نظرنا إلى الآراء التي بدأت تظهر في هذه المرحلة في المجال العقائدي. لأن الدم والتحذير من هذه الآراء والقول بها قد صدر عن العلماء المهتمين بالرواية كما صدر كذلك عن أولئك العلماء الذين كانوا يفتون بأرائهم ويستطبون الحلول الفقهية مما يدل على أن الرأي المدوم ليس هو الرأي الفقهي المسي على الإحتجاج. وإنما تلك الآراء الصائبة التي ظهرت في مجال العقائد

أما الفريق الثاني من علماء التابعين في الكوفة فقد اتجه إلى تأسيس نفسه علميا من خلال الرواية والتلقي عن العلماء والإمام بالنصوص الموثوق بها والآراء التي قبلت من قبل أساتذته وقد لاحظ هذا الفريق من العلماء أن تلك النصوص والآراء المخطوطة لا تهي محل جميع المشكلات الفقهية التي ظهرت في عصرهم. إذا كان المقصود من الفتوى أن تكون بحرية النص فقط ولما كانوا قد عرفوا من أساتذتهم من فقهاء الصحابة أن الشريعة الإسلامية معقولة المعنى. وأن الأحكام شرعت لعلل، وأن فقهاء الصحابة قد أفتوا بأرائهم المبينة على النصوص. فقد اتجهوا إلى النصوص بالدراسة والتعمق في فهمها، ومن ثم استباط الأحكام الشرعية منها. هذا الاستباط لم يكن دائما ملغصا ما يوحي به ظاهر النص. بل أنهم قد استخدموا القياس للجمع بين المتشابهين وللتفريق بين المختلفين، وقرعوا على النصوص



- (١٥) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٠ - ١١.
- (١٦) التوزي، المصدر السابق، ص ٧٩ - ٨١.
- (١٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٠.
- (١٨) التوزي، المصدر السابق، ص ٨٠.
- (١٩) نظر في ذلك: التوزي، المصدر السابق، ص ٧٩ - ٨٠، خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص ٢٥٧.
- (٢٠) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٠.
- (٢١) أحمد بن عبد الرحمن القطري، حجة الله البالغة، تحقيق: عبد سائق، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ج ١، ص ٣٠٦.
- (٢٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩١.
- (٢٣) المصدر السابق، ص ٧٠، ٧٣.
- (٢٤) المصدر السابق، ص ٧٩.
- (٢٥) التوزي، المصدر السابق، ص ٨٠.
- (٢٦) المصدر السابق، ص ٧٩.
- (٢٧) يحيى بن شرف بن عري التوزي، هذيب الأعيان والصفات، تحقيق: فريماند وسيفيت، فرانكفورت، ١٩١٧، ص ٤٠٣.
- (٢٨) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٨.
- (٢٩) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، وطبقات الأصفهاني، القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٣٢م، ج ٢، ص ٩٩.
- (٣٠) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٩.
- (٣١) نفسه.
- (٣٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣١٩هـ، ج ٥، ص ٢٢٤.
- (٣٣) ابن القيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٦١.
- (٣٤) أبو عبد الله طاهر بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، القاهرة: مكتبة القدس، ١٩١٨م، ج ٢، ص ٥٠ - ٥١، ١٩١، ٢٢٥.
- (٣٥) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٧٠.
- (٣٦) التوزي، المصدر السابق، ص ١٣٢.
- (٣٧) ابن سعد، المصدر السابق، ص ١٣٣.
- (٣٨) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٨.
- (٣٩) المصدر السابق، ص ٩٩.
- (٤٠) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩١.
- (٤١) المصدر السابق، ص ٨٦.
- (٤٢) الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٠ - ٥١.
- (٤٣) التوزي، المصدر السابق، ص ٧٩.
- (٤٤) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٨.
- (٤٥) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩١.
- (٤٦) المصدر السابق، ص ٨٨.
- (٤٧) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٩.
- (٤٨) الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٢.
- (٤٩) التوزي، المصدر السابق، ص ١٣٣.
- (٥٠) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٩.
- (٥١) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٠.

- (٥٢) الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥١.
- (٥٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩١.
- (٥٤) التوزي، المصدر السابق، ص ٤٠٣.
- (٥٥) ابن سعد، المصدر السابق، ص ٩٣.
- (٥٦) التوزي، المصدر السابق، ص ٤٠٣.
- (٥٧) نفسه.
- (٥٨) نفسه.
- (٥٩) التوزي، المصدر السابق، ص ٨٠.
- (٦٠) التوزي، المصدر السابق، ص ٤٠٣.
- (٦١) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٥.
- (٦٢) نفسه.
- (٦٣) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تهذيب العظم، دار إحياء السنة النبوية، ١٩٧٤م، ص ٤٦.
- (٦٤) المصدر السابق، ص ٦١.
- (٦٥) المصدر السابق، ص ٣٩.
- (٦٦) الذهبي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٦.
- (٦٧) التوزي، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٦٨) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢١٧.
- (٦٩) نفسه.
- (٧٠) أبو الفلاح عبد الله بن الفضل الحلي، ذخرات الذهب، القاهرة، مكتبة القدس، ١٣٥٠هـ، ج ١، ص ١٢٧.
- (٧١) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢١٨.
- (٧٢) نفسه.
- (٧٣) المصدر السابق، ص ٢٤٩.
- (٧٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٨١.
- (٧٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، التمعن في خبر من غرر الكوثر، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٠م، ج ١، ص ٨١.
- (٧٦) التوزي، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٧٧) نفسه.
- (٧٨) أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن حنبل، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، دار الفکر، ١٩٦٨م، ج ٣، ص ١٤٠.
- (٧٩) ابن الفضل الحلي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٧.
- (٨٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ١٣١.
- (٨١) المصدر السابق، ص ١٣٢.
- (٨٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٥٠ - ٢٥١.
- (٨٣) نفسه.
- (٨٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ١٣١.
- (٨٥) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١١.
- (٨٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ١٣٩.
- (٨٧) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٨١.
- (٨٨) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٢١.

- (٨٩) عبد الحميد محمود، الدراسة العلمية للمحدثين، القاهرة، مكتبة الشهاب ١٩٧٤م، ص ٣٧.
- (٩٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ١٣٢.
- (٩١) محمد بن الحسن الطوسي، الفكر السياسي في تاريخ الفقه الإسلامي، مكتبة الشروق، المكتبة العلمية، ١٣٩٦هـ، ج ١، ص ٢٩٥.
- (٩٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٧١، أورد هذه الرواية عن أبي معشر عن إبراهيم، وقال: أنه قد رأى عائشة وعليها ثياب حر، ووجه إلى أبي معشر السؤال عن الكيفية التي دخل بها إبراهيم على أم المؤمنين فأوضح ذلك بقوله: «كان يمش مع عمه وعاله عطفة والأسود قبل أن يخطب».
- (٩٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٧١ - ٢٧٢.
- (٩٤) المصدر السابق، ص ٢٧٠.
- (٩٥) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٣.
- (٩٦) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١١٩.
- (٩٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ١٣٢.
- (٩٨) القسري، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (٩٩) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٧٠.
- (١٠٠) القسري، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (١٠١) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٧٢.
- (١٠٢) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٠.
- (١٠٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٧١.
- (١٠٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٣٦.
- (١٠٥) أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال، القاهرة، مطبعة الديار المصرية ١٩٦٣م، ج ١، ص ٧٥.
- (١٠٦) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٢٥.
- (١٠٧) المصدر السابق، ص ٢٢٣.
- (١٠٨) المصدر السابق، ص ٢٢٢.
- (١٠٩) القسري، المصدر السابق، ص ١٣٥.
- (١١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٤٤.
- (١١١) المصدر السابق، ص ٢٤٣.
- (١١٢) القسري، المصدر السابق، ص ١٣٥.
- (١١٣) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٢٠.
- (١١٤) نظر في ذلك المصدر السابق، ص ٣٢٠، والقسري، المصدر السابق، ص ٨٣، والذهبي، المصدر، ج ١، ص ١٥٠.
- (١١٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٤٠.
- (١١٦) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٢٠.
- (١١٧) الذهبي، المصدر، ج ١، ص ١٥٠.
- (١١٨) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٠.
- (١١٩) المصدر السابق، ص ٦١.
- (١٢٠) القسري، المصدر السابق، ص ٨٣.
- (١٢١) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٢٠.
- (١٢٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٤٠.
- (١٢٣) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٤٠.

- (١٢٤) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٣٢.
- (١٢٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦٤٢.
- (١٢٦) نفسه.
- (١٢٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٧٣.
- (١٢٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦٤٤.
- (١٢٩) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٣٢.
- (١٣٠) المصدر السابق، ص ٦٥٠.
- (١٣١) المصدر السابق، ص ٣٧٢.
- (١٣٢) المصدر السابق، ٣٣٣.
- (١٣٣) المصدر السابق، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.
- (١٣٤) المصدر السابق، ص ٣٣٣.
- (١٣٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦٤٤.
- (١٣٦) نفسه.
- (١٣٧) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣٣٣.
- (١٣٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦٤٤.
- (١٣٩) نفسه.
- (١٤٠) أبو نعيم الأصبهاني، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٥٥.

